فتاة من كلكتا

هبة عبدالمنعم محمد

لا تعرفون كم أنا شديدة السعادة لاستطاعتى كتابة هذة الكلمات، فقد كنت لا أعرف القراءة والكتابة، وحتى لو كنت أعرفها، فأنا لم يكن فى حوزتى ورق وقلم للكتابة.

أه نسيت أن أعرف نفسى لكم، أنا أسمى»ساريكا» من بلدى الحبيبة الهند وبالتحديد من كلكتا، أنا الآن أكتب وأنا جالسة أمام بيتنا المصنوع من الصفيح، أقول لكم شيئًا غريبًا، أنا أحب هذا البيت رغم تذمر بعض الناس من هذة البيوت الصفيحية، أنا لا أعرف لماذا، فأنا أشعر بالرضا التام والتصالح مع النفس.

نحن تعودنا على مبدأ هام وهو الفرح الشديد بأى شىء جديد يسعدنا وعدم الحزن على أى شىء من المفترض أن نحزن لأجله.. أسمع أحدكم يتسائل.. هل تتطلعين فى أى لحظة من حياتك إلى العيش فى البيوت المصنوعة من الطوب والحجر مثل الآخرين؟، ولكنى أقول إننى أتطلع بالفعل إلى ذلك ولكنى أنظر إلى الأمام بنظرة راضية ولست حزينة على حالى هذا.

أجلس أمام النار التى أكتب على نورها الآن، فنحن ليس لدينا كهرباء، لذا ننام جميعا مبكرًا لنستفيد من ضوء النهار. نسيت أن أقول لكم أن عمرى ستة عشر عامًا، لكنى أبدو أكبر من ذلك بكثير بسبب العمل الشاق طيلة النهار، فأنا أستيقظ فجرًا وأقوم بالاستحمام بالرمال لأن

ليس لدينا صابون، ثم أساعد أمى فى إعداد الطعام وهو بسيط جدًا ولكنه يصلح لتناوله، ثم آخذ الأوانى وأذهب إلى صنبور الماء الوحيد الذى نملكه هنا، حيث يستفيد به الآلاف، وأقوم بغسلها جيدًا بالطين هناك، وأذهب لزيارة أخى المريض فى مركز طبى متواضع، تنفق عليه دولة أجنبية، تقريبًا ألمانيا، لا أعرف، المهم أنها تساعدنا وليس لى علاقة بالباقى.

أخى يعانى من مرض خطير نتيجة لتأخره فى العلاج، ولكنه يبتسم دائما، فأنا عندما أرى الإبتسامة على وجهه، فكأنما أرى الدنيا مجسدة فى هذا الجسد النحيل الذى هدّه المرض، وهى تضحك لى. ولا يشعر أنه مريض بمرض خطير رغم آلامه وكثرة العلاج الذى يتلقاه.

نحن أفضل حالًا من الكثيرين ،حيث يوجد أشخاص كثيرة يموتون جوعًا ،ولكننا فى أيام كثيرة نجد قوت اليوم .

أما الشىء الذى يرغمنى على الحزن هو الأمراض، فلدينا كل أنواع الأمراض المعروفة والغير معروفة، فنحن موطن جيد للدراسة من قبل الأطباء، وغالبية طعامنا نأخذه كمعونات أو نصنعه من الأشياء البسيطة، أنا لا أملك ملابس كثيرة، فقط لدي ثوبان، قامت أمى بجمع بعض الخرق وحياكتهم،أنا سعيدة بلبسهما كثيرًا، ويحسدنى أصحابى عليهم.

يقولون عن كلكتا إنها أفقر الدول فى العالم، ويشفق الناس على حالنا، ولكنهم لا يدركون أننا أغنى دول العالم فى إمتلاك «الشعور بالرضا» فأنا رغم سنى الصغير - الكبير كفاحا - أقول أن المال ليس مرتبط بالسعادة، فأنت لا تستطيع أن تشترى الرضا النفسى ولا أن تحقق السعادة بكثرة المال، فالسعادة تتحقق فى أبسط الأشياء، فالكفاح فى حد ذاته وسيلة

للسعادة، حيث أنك بجدك وكدك تحقق ما تريد، ولكن عندما تملك المال دون تعب، تحقق ما تريده فورًا دون الحصول على متعة المحاولة والعمل .

أنا الآن أشعر بإرهاق شديد من العمل طيلة اليوم، والنعاس يداعب جفونى ويحثها على الإغلاق، لا أدرى لماذا أكتب هذه الكلمات أو لمن أوجهها، ولكن الكتابة فى حد ذاتها نوع من الرفاهية بالنسبة لنا، وكم من الممتع بالنسبة لى أن أجد ورقة وقلم وأكتب ليلًا أمام النار بعد العمل الشاق لساعات طويلة.. آه نسيت أن أقول لكم أن غدًا لدينا عيد هام، وسوف نرقص ونغنى جميعًا حتى تدمع أعيننا، لذا فعلي تركككم الآن لأستيقظ مبكرًا لأنهى عملى مبكرًا وأستعد للإحتفال.

تعيش كلكتا.. وتحيا الهند بلدى الحبيبة

الإمضاء

ساريكا